مذكرات امرأة فقدت ظلها

كان عليها أن تعلم ذلك منذ البداية، كان عليها أن تعلم؛ كل تلك العلامات، كل الدلائل، كل الإشارات: المعلنة منها والخفية، كلها كانت تحاول إيقاظ ما بقي فيها من بصيرة، تحاول جذبها من تلابيبها: تهزها تارة بكل ما أوتيت من قوة، تكاد معها تتصدع أركانها، وتتفتت دواخلها، وتحايلها تارة أخرى: كأُمٍّ حنون، تأتيها ذات اليمين وذات الشمال، تلهمها الخلاص. تنقر على شباكها كل صباحٍ العصافير، على زجاجٍ مبزَّر، تحفُّه النقوش، نقراً خفيفاً منغَّما:

– تيك تيك تك تك، أشرقي، أرجوك..أشرقي!

تناجيها ستائر شباكها الوحيد، في زاويته القصية، وأسفله مكتبها، العامر بأوراقها ومحابرها، مع نسائم صباحية تداعب المكان، تلاطفه:

– هووف، هوووف، تعالي، أرجوك..تعالي!

حتى أشعة الشمس الضاربة في أصل عينيها، لتشرق فيهما، فتحيل لونهما – الذي من شعاعها– ألوانا، تحاول مدَّ أكفِّها إليها ما استطاعت، لتسحب بكلِّ رفقٍ خيطاً حريرياً غُزل فيهما، تزهو عليه ألوان قوس قزح:

– انهضي، اقفزي، اركضي، تعالي!

ولكنها – وبكل ركودٍ فيها – تجاهلت كل شيء حولها: كل الشقشقات، التكتكات، الهتافات... والزعيق. تجاهلت كل شيء، كل شيء، فقط.. لتنعمَ بلحظاتٍ عدَّتها الحياة... في مزيد ركود!